

الاستغلال الاستعماري للغابات الجزائرية وانعكاساته على سكان الأرياف *The colonial exploitation of Algerian forests and its impact on the rural population.*

سراج عاطف¹، جامعة العربي التبسي- تبسة، الجزائر
SERRADJ Atef, University of Larbi Tebessi - Tebessa, Algeria
Atef2004@live.com

شلالي عبد الوهاب، جامعة العربي التبسي- تبسة، الجزائر
CHELALI Abdelouaheb, University of Larbi Tebessi - Tebessa, Algeria
bahaba_che@yahoo.fr

تاريخ النشر: 2018/12/30

تاريخ القبول: 2018/11/10

تاريخ الإرسال: 2018/10/29

ملخص

عمد الاستعمار الفرنسي منذ احتلاله للجزائر إلى نهب ثرواتها المتنوعة، واستغلالها لصالحه، و سلب الجزائريين ثروتهم الأساسية المتمثلة في أراضيهم، بواسطة مراسيم وقوانين تعسفية خدمت بالدرجة الأولى الاستيطان ومصالح المعمارين. ولم تكتف سلطات الاحتلال فقط بسلب ثروات البلاد وممتلكات العباد، بل اجتهدت أيضا في سلب أهل الريف منهم المقومات الطبيعية التي كانت تقوم عليها حياتهم الاقتصادية، وكانت الغابات أهم تلك المقومات، التي عمدت فرنسا إلى السيطرة عليها منذ بداية الاحتلال لما كانت توقره من مقومات حياة لسكان الجبال، فقد كانت تلبي تقريبا حوالي ثلثي من احتياجاتهم، خاصة بعدما جردوا من أراضيهم الخصبة، والتجأوا إلى الجبال، وعاشوا على أطراف الغابات، واتخذوا من ثرواتها النباتية مصدر رزق لهم ولحيواناتهم، وقد كان للسياسة الغابية الاستعمارية في الجزائر، انعكاسات سلبية على نمط عيش أهل الريف، حيث زادت في إفقارهم وتجويعهم، وتحطيمهم اقتصاديا واجتماعيا.

كلمات مفتاحية: الاستعمار، الجزائر، الغابات، قوانين الغابات، الاستغلال، الحرائق، سكان الأرياف.

Abstract

Since its occupation of Algeria, the French colonization has robbed all the wealth of the Algerians by issuing arbitrary decrees and laws that served primarily the interests of the Settlers. France not only dispossessed all Algerians' properties but also endeavored to rob them all that they relied upon in their daily lives, because she knew that The forests are importance in the daily lives of the Algerians, which provides Algerians with their daily sustenance about almost two-thirds of their needs, especially after they were forcibly expelled them from their fertile land. Where they refuge to mountainous and live on the edge of the forests, which has had serious repercussions for the rural population.

Keywords: Colonialism, Algeria, forests, forest laws, exploitation, fires, rural population.

1 المؤلف الرئيسي: سراج عاطف، طالب دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة العربي التبسي - تبسة، الجزائر.

مقدمة

كانت الغابة تكتسي أهمية بالغة في النشاط الاقتصادي لسكان الجبال وحياتهم اليومية، فقد كانت توفر جميع المواد الأساسية التي احتاجها المجتمع لمختلف نشاطاته من بناء، تدفئة، طبخ ورعي المواشي وغيره من الأعمال الأخرى، كما وفرت المادة الأولية للعديد من الحرف والمهن، ونظرا لإدراك فرنسا لأهميتها في حياة المجتمع الجزائري، سارعت لبسط نفوذها عليها منذ السنوات الأولى للاحتلال وأسست مصلحة الغابات والمياه في سنة 1838م كلفتها بالعمل على إحصاء شامل للثروة الغابية في الجزائر والعمل بكل الوسائل لبسط النفوذ الاستعماري عليها، ومن هذا المنطلق طرح التساؤل التالي: إلى أي مدى استطاعت فرنسا بسط نفوذها على الغابات الجزائرية؟ وكيف أثر ذلك على سكان الأرياف القاطنين بمحاذاتها؟ وللإجابة على هذه الإشكالية اعتمدنا في مقالنا هذا على المنهج التاريخي الوصفي، والمنهج المقارن سعيا منا لوصف تأثيرات الاستغلال الاستعماري لتلك الغابات على المجتمع الريفي الجزائري.

وقد وضعنا خطة عمل تتكون من المحاور التالية:

1. مقدمة

2. خصائص الغابات الجزائرية

3. الاستغلال الاستعماري للغابات وانعكاساته على سكان الريف الجزائري.

4. انعكاسات الاستغلال الاستعماري للغابات على سكان الأرياف.

5. خاتمة.

2. خصائص الغابات الجزائرية

1.2 جغرافية الغابات الجزائرية.

1.1.2 الموقع الجغرافي للجزائر

تحتل الجزائر موقعا استراتيجيا هاما في إفريقيا، حيث تتوسط شمال غرب القارة الإفريقية، وتقع بين خطي طول 09° غربا و 12° شرقا، ودائرتي عرض 19° و 37° شمالا¹، على مساحة تقدر تقريبا بـ 2381741 كلم مربع، تمتلك شريطا ساحليا طوله حوالي 1200 كلم²، في حين تشترك الجزائر حدودها جنوبا مع كل من النيجر ومالي، أما في الجهة الشرقية فنجد كل من تونس وليبيا، أما بالنسبة للحدود الغربية فيحدها كل من المغرب الأقصى والصحراء الغربية وموريتانيا².

أما في القرن التاسع عشر، فنلاحظ أن الموقع الجغرافي للجزائر مختلف عما هو الآن، فحسب بعض المصادر الفرنسية والتي تحدثت عن الموقع الجغرافي والتوسع الفرنسي، فنجد أنها تحدد لنا الموقع الفلكي للجزائر بأنها تقع بين خطي طول 04° غربا و 06° شرقا ودائرتي عرض 30° و 36° شمال خط الاستواء، وصنفت الجزائر ضمن الإقليم الذي يطلق عليه الفرنسيون بالدول البربرية، يحدها شمالا البحر الأبيض المتوسط، حيث يتخذ شريطها الساحلي شكل هلالٍ مقلوب، تتوسطه مدينة الجزائر العاصمة، تمتد إلى ما أبعد من مدينة ندرومة في الغرب، ومدينة القالة في أقصى الشرق، يحدها شرقا بايلك تونس والتي دخلت تحت الحماية الفرنسية سنة 1881 واتفاقية السلام الموقعة بين الحكومة الفرنسية والتونسية في 12 ماي من نفس

السنة، أما من الجهة الغربية فنجد المملكة المغربية وما يفصل بينها وبين الجزائر سلسلة غابات جبال تارة، وامتدت الجزائر خلال فترة الاحتلال الفرنسي جنوباً إلى بعض مناطق الصحراء، حيث لم تكن الحدود الجنوبية ثابتة³ وواضحة المعالم بسبب اتساعها⁴.

وقد قدرت المسافة المباشرة بين الحدود الغربية التي وصلت إلى غرب ندرومة والحدود الشرقية التي وصلت إلى مدينة القالة تقريباً حوالي 997 كلم، أما المسافة نحو الجنوب فوصلت أواخر القرن 19 إلى العرق⁵ جنوب المنيعة⁶ وسط الصحراء، أما في الجنوب الشرقي فقد وصلت إلى غاية الشط CHOTT والتي يقودنا إليها وادي اغرغار Oued Igharghar، هذا الأخير يمتد من جبال الهقار إلى منطقة طاسيلي ناغر إلى أن يختفي في العرق الشرقي الكبير⁷.

2.1.2. التضاريس والمناخ

تتميز الجزائر بتنوع تضاريسها وتعددتها (من سواحل، جبال، أودية، أنهار وهضاب... إلخ)، وذلك راجع لمساحتها الشاسعة حيث تعتبر في وقتنا الحاضر أكبر دولة إفريقية من حيث المساحة، وتقسم الجزائر إلى قسمين متميزين ومختلفين من حيث الملامح التضاريسية والمناخ هما:

— قسم شمالي تبلغ مساحته أكثر من 400 ألف كلم مربع، يغلب عليه الطابع الجبلي ويحتوي على سلسلتين جبليتين متوازيتين ومختلفتين هما الأطلس التلي والأطلس الصحراوي الذي يحصران بينهما منطقة هضبية واسعة.

— قسم جنوبي مساحته أكثر من 2 مليون كلم مربع، وهو عبارة عن منطقة صحراوية تمتاز بتضاريسها الهادئة⁸.

2.1.3. الغابات في الجزائر وأماكن توزيعها

تُعرف الغابة في المعاجم بأنها مساحة شاسعة تكتنفها الأشجار الكثيفة من كل جهة وتكون مرتعا لكل أنواع الحيوانات⁹، وبالعودة للغابات الجزائرية نجد أن أغلبها كان منتشرة في إقليم التل والهضاب العليا على مساحة قدرها حوالي 3 ملايين هكتار¹⁰، غير أن المصادر الفرنسية اختلفت في هذا الإطار، حيث نجد أن لويس دي باديكور Louis de Badicour حينما تحدث عن مساحة الغابات الجزائرية في كتابه "الاستعمار في الجزائر وعناصره" حدد مساحة الغابات الجزائرية بحوالي 1250757 هكتار¹¹، غير أن أحد مفتشي مصلحة الغابات والمياه المختصة في تسيير الغابات في الجزائر (سيتم التطرق لها في بحث لاحق) والمدعو هنري لوفيفر Henri Lefebvre قدم لنا إحصائيات هي أكثر دقة عن المساحة الإجمالية للغابات الجزائرية¹²، حيث قدر مساحتها بـ 3 ملايين هكتار قسمها إلى 3 أقسام أساسية وهي كالتالي:

• 2.5 مليون هكتار خاضعة للإدارة الاستعمارية مباشرة وهي مقسمة قسمين، فنجد حوالي 1725000 هكتار تسيير من طرف مصلحة الغابات والمياه مباشرة و 745000 هكتار تخضع لسيطرة الجيش الفرنسي في الجزائر.

• 77000 هكتار عبارة عن ملكية بلدية أو تشترك فيها مجموعة من البلديات.

• 450000 أو 500000 هكتار ملكية خاصة مقدمة للمستثمرين¹³.

ويتضح لنا من خلال أحد الخرائط التي أنجزت في العهد الاستعماري من طرف شوارزلي Schwaerzlé عن توزع الغابات الجزائرية في مارس من سنة 1847، أن الغطاء الغابي في الجزائر كان متوزعا أغلبه في الجهة الغربية كما نجد أيضا في الجهة الشرقية من الجزائر مجموعة معتبرة من الغابات مثل غابات الأوراس، كما نلاحظ أيضا أن كل الغابات تقع في الجهة الشمالية من الجزائر على اعتبار أن الجهة الجنوبية من الجزائر عبارة عن صحراء شاسعة¹⁴.

وتتوزع تغطية هذه الغابات بين حوالي 50 في المائة لمنطقة القبائل، 2 في المائة للجنوب، أما 48% الباقية فتتوزع ما بين وسط وشرق الجزائر.

وتتألف الغابات الجزائرية من الآتي:

- الغابات الطبيعية بمساحة إجمالية تقدر: 1329400 هكتار.
- غابات تمت عملية إعادة تشجيرها بمساحة تقدر: 972800 هكتار.
- المراعي: 1844800 هكتار.
- المروج والمناطق المعشوشبة بمساحة تقدر: 2800 هكتار.
- ونجد من الأنواع الرئيسية للأشجار التي تتألف منها هذه الغابات هي:
- 50% تتكون من الأشجار الصنوبرية، ممثلة أساسا من الصنوبر الحلبي، أشجار العرعر والأرز.
- 50% تتكون من أشجار بلوط الفلين chène-liège والبلوط الأخضر chène-verte والبلوط زين chène-zeen¹⁵.

ويتم التعرف على الغابات الجزائرية جزئيا من قبل مصلحة الغابات، وكذلك من قبل الضباط مهندسي المناجم. وفي كل يوم يمكن لمصلحة الغابات أن توسع دائرة التحقيقات التي تجريها، وإذا قارنا الجداول التي نشرت سنة 1849 مع جداول سنتي 1845-1846، نلاحظ أن مساحة عدد كبير من الغابات تغيرت، كما أصبحت معروفة بشكل أكثر دقة¹⁶.

2.2. الخصائص الطبيعية للغابات الجزائرية

تعتبر الغابات أحد أهم الموارد الاقتصادية والتي تعتمد عليها جل دول العالم، وبالنظر للمساحة الشاسعة التي تربع عليها الجزائر والتنوع المناخي فيها، فلغاباتها خصائص طبيعية تميزها على باقي الغابات في العالم، وقد عرف الاستعمار الفرنسي ذلك. لذا سعى جاهدًا لإبعاد الجزائريين عنها بشتى الوسائل والطرق وفيما يلي استعراض لبعض أهم الثروات الغابية التي تزخر بها الجزائر وذلك بالاعتماد على المصادر الفرنسية المكتوبة خلال الفترة الاستعمارية، نظرا للتغيرات المناخية التي شهدتها الجزائر من تلك الفترة على يومنا الحاضر والتي ربما تكون أثرت على طبيعة النباتات التي تتوفر عليها غابات الجزائر.

1.2.2. بلوط الفلين:

هو أحد أهم أنواع الأشجار المنتشرة في شمال إفريقيا بشكل عام و الجزائر بشكل خاص، حيث تعتبر عمالة قسنطينة البيئة المثالية لنمو هذا النوع من الأشجار، وتنتشر أشجار الفلين في الجزائر على مساحة

قدرتها المصادر الفرنسية بحوالي 1600000 هكتار، تمتد هذه المساحة ما بين الشريط الساحلي لتمر من خلال أقبو، خراطة، السمندو، قالمة وسوق أهراس¹⁷.

وحسب الإحصائيات الفرنسية نجد أن 281402 هكتار من غابات الفلين فقط مستغلة من طرف الإدارة الاستعمارية من أصل المساحة الإجمالية له، ومن الملاحظ أن عمالة قسنطينة تحتوي وحدها على 231690 هكتار من المساحة المستغلة أي حوالي 83% من المساحة الإجمالية المستغلة من هذه الغابات¹⁸.

2.2.2 شجر الأرز:

ويطلق عليها المختصون في علم النبات بشجر الأرز الأطلسي، تتوزع غابات الأرز في الجزائر على مساحة 24200 هكتار من عمالة قسنطينة وهي غابات منتشرة في منطقة الهضاب العليا وفي المناطق التي يكون ارتفاعها ما بين 1300 و 1900 متر فوق سطح البحر، فعلى سبيل المثال نجدها منتشرة على قمم جبال بوطالب بسطيف و جبال الأوراس¹⁹.

تقدم شجرة الأرز الأطلسي التي تنمو في الجزائر نوعية جيدة من الأخشاب مقارنة بنظيرتها التي تنمو في لبنان²⁰، كما تصل أعمار شجرة الأرز الأطلسي إلى عدة قرون وذلك استنادا إلى ارتفاعها وبعض الخصائص الأخرى التي تحتويها، وهذا ما يوضحه الجدول التالي:

3.2.2 الحلفاء:

يمتد توزع هذا النبات الطبيعي في الجزائر على مساحة قدرتها المصادر الفرنسية بحوالي 3975307 هكتار، منها 777770 هكتار موجودة ضمن المساحات الغابية التابعة لمصلحة المياه والغابات، وتنتشر الحلفاء في الهضاب العليا والسهوب وتتمركز بكثرة في المنطقة الوسطى والشرقية من الجزائر²¹.

كما تصنف المساحات التي تنتشر فيها الحلفاء ضمن أملاك الإدارة الاستعمارية، أما تلك المساحات التي تكون قريبة من الغابات فهي تكون تابعة مباشرة لمصلحة المياه والغابات، كما نجد في بعض الأحيان بع المناطق التي تنتشر فيها نبات الحلفاء تكون مصنفة كممتلكات جماعية للقبائل²².

3. الاستغلال الاستعماري للغابات وانعكاساته على سكان الريف الجزائري.

1.3 الاستغلال الاستعماري للغابات

قدمت الغابات الجزائرية أرباح هائلة للاستعمار الفرنسي و اقتصاده الذي بدأ في استغلالها منذ سنة 1830، غير أن الاحتلال الكلي للبلاد و احكام السيطرة عليها وضعف شوكة المقاومة في الثلث الاخير من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ادى الى اطمئنان الفرنسيين على وجودهم الاستعماري و من ثم الشروع في استغلال أقصى ما تتيح لهم أرض الجزائر من ثروات، وقد توزع هذا الاستغلال على فئتين أساسيتين هما: الإدارة الاستعمارية والمعمرون الذين حضوا بامتياز استغلال مناطق غابية محددة، أما بالنسبة للإدارة الاستعمارية فنجد أنها وضعت برنامجا ضخما لاستغلال الخشب، فمثلا سنة 1884م. رصدت نفقات قدرت بحوالي ب 15 مليون فرنك لمساحة غابية تقدر ب 103.000 هكتار، واتبعها بقوانين تهدف الى خدمة وازدهار هذه الصناعة، ومن ناحية أخرى تم كراء مساحات غابية للأوروبيين وهذا ما توضحه العديد من المصادر

المتخصصة في هذا الموضوع، أما القبائل المجاورة للغابات فقد أتيح لبعضها امكانية الرعي حيث يعطى لهم حق الاستغلال كتعويض في حالة تحويلهم من مواقعهم الاصلية التي كانوا مستقرين بها.

وبالعودة لبعض المصادر الفرنسية في هذا الموضوع نجد أنها عقدت مقارنة بين عائدات الغابات الفرنسية بنظيرتها بالجزائر لإبراز الأهمية الاقتصادية لهذه الأخيرة ففي فرنسا يقدم 1.000.000 هـ من الغابات عائداً من الأرباح 25 مليون فرنك بعد استهلاك نفقات تقدر بـ 13 فرنك، بينما الغابة بالجزائر سنة 1890م أعطت نفس المساحة 4.9 مليون فرنك بعد استهلاك نفقات تقدر بـ 1.8 مليون فرنك، و بالمقارنة فان الغابات في الجزائر تقدم ربحاً يقدر بضعفي قيمة النفقات في الوقت الذي تقدم فيه الغابة الفرنسية اقل من الضعف.

ومع بداية القرن العشرين استمر استغلال الغابات الجزائرية بصورة اوسع وبشكل متزايد الحجم وهو ما ترجمه العائدات والأرباح ففي 1902م 6.5 مليون فرنك وارتفعت سنة 1905 م الى 6.5 مليون فرنك ثم الى 08 مليون فرنك سنة 1908م. ونشرت احصائيات سنة 1916 م عن مصلحة المياه والغابات جاء فيها ان الغابات الجزائرية تنتج 500.000 طن من الخشب و 100.000 طن من الفحم والعنصر الأكثر انتاجية يتمثل في الفلين الذي تبلغ مساحته في الجزائر 440.342 هـ تقع أغلبها في عمالة قسنطينة وتصل قدرات الجزائر الى امكانية تقديم ما يعادل ربع الانتاج العالمي من الفلين²³.

ومن أجل ضمان الاستغلال التام للغابات وإبعاد الجزائريين عنها، عمد الاستعمار الفرنسي إلى القيام بمجموعة من الإجراءات القمعية، كان أهمها الذهاب لإصدار مجموعة قوانين بالإضافة إلى إنشاء مصلحة الغابات والمياه، إن من أهم القوانين والمراسيم التي أقرها الاستعمار الفرنسي في مجال الغابات والتي كان هدفها الأساسي إبعاد يد الجزائريين عن استغلال هذه المادة الأساسية في حياتهم اليومية نجد ذلك القانون الذي صدر في جويلية من سنة 1874م، هذا الأخير والذي جاء بعدما انتشرت الحرائق في الغابات الجزائرية والتي اعتبرتها الإدارة الاستعمارية فعلاً متعمداً من طرف الجزائريين خاصة أولئك القاطنين بجوارها²⁴.

2.3. مصلحة الغابات والحرائق

إن موضوع حرائق الغابات والسياسة التي انتهجتها الإدارة الاستعمارية ضد الجزائريين بسببها لوحدها تستحق دراسة كاملة، لذلك سنحاول في هذا المقال التطرق لبعض النماذج عن الاعتداءات التي ارتكبتها الإدارة الاستعمارية ممثلة في مصلحة الغابات والمياه ضد الجزائريين والتي كان أقصاها سياسة حجز الأراضي و تلك الضرائب الباهظة التي دفع ثمنها سكان الأرياف عامة والذين قطنوا بجوار الغابات بصفة خاصة²⁵.

بالعودة لتاريخ السياسة الاستعمارية في مجال الغابات نجد أنها بدأت بتطبيق قانون الغابات المعمول به في فرنسا على الغابات الجزائرية منذ بداية الاحتلال حيث يرجع الكثير من المختصين في هذا المجال تطبيق ذلك القانون إلى عام 1936م، رغم أن هذا القانون لا يمكن تطبيقه في الجزائر وهذا بشهادة العديد من ضباط مصلحة الغابات والمياه في حد ذاتهم، حيث يورد العديد منهم سبب ذلك إلى قلة المساحات الغابية في الجزائر مقارنة بفرنسا مع وجود كثافة سكانية عالية في الغابات عكس فرنسا التي نادراً ما نجد سكانها يقطنون داخل أو في جوار الغابات²⁶.

عملت مصلحة الغابات والمياه منذ بداية نشاطها في الجزائر على توسيع نفوذ الإدارة الاستعمارية على أراضي الجزائريين باستعمال شتى الطرق والوسائل، ولعل أهم تلك الطرق كان سياسة حجز الأراضي، هذه السياسة التي استغلتها الإدارة الاستعمارية مع كل حريق شب في إحدى الغابات، وما يؤكد جول فيري سنة 1892 حين صرح بأن الحجز هو الوسيلة الوحيدة والأنجح للإدارة الاستعمارية للاستيلاء وتوسيع نفوذها على الأراضي في الجزائر لدعم سياستها الاستيطانية²⁷.

إن ما يؤكد تصريح جول فيري الأخير هو أول قانون الخاص بالغابات الجزائرية والذي صدر سنة 1874م، والذي نص على أن حرائق الغابات تعتبر من بين الأسباب الأساسية التي تؤدي إلى حجز الأراضي، حيث قد ها القانون لمصلحة الغابات حق سلب الجزائريين أراضيهم، وهذا ما جعلها تصطدم بصراع مع الجزائريين خاصة أولئك الذين يقطنون المناطق الجبلية حيث أصبحت تضايقهم السياسة المنتهجة من قبل مصلحة الغابات والمياه التعسفية، خاصة بعدما صادرت أكثر من 2 مليون هكتار من الأراضي الغابية منذ بداية الاحتلال²⁸، هذا وقد كان لشركات استغلال الفلين دور كبير في تأزم حياة سكان المناطق الجبلية والقاطنين بمحاذاة الغابات، حيث استغلوا الحرائق كذريعة للحصول على المزيد من الأراضي بأقل تكلفة²⁹.

وبالعودة لبعض المصادر الفرنسية التي تحدثت عن موضوع الحرائق نجد أن أغلبها قد برأ الجزائريين من تلك الحرائق، حيث أكد جورج غرافيويس أن الكثير من الحرائق كان سببها إما الحرارة الشديدة والجفاف الذي كان يجتاح العديد من المناطق، كما نفى أن تكون كلها أعمال إجرامية كما ادعت العديد من الأطراف خاصة الشركات التي كانت تستغل تلك الغابات، هذا وقد أكد أن العديد من الحرائق كان سببها الأوروبيون أنفسهم بسبب قلة حذرهم ومبالاتهم³⁰.

هذا وقد شهدت الجزائر خلال الفترة الاستعمارية العديد من الحرائق الأخرى والتي دفع ثمنها الفلاحين والقاطنين بمحاذاة الغابات، رغم عدم تسببهم فيها ومن أهمها تلك التي حدثت سنة 1865م بسهولة المتيجة وهضاب قسنطينة، حيث بسببها طالب الأوروبيون بتعويضات كبيرة تدفع في شكل غرامات قدرتها بعض المصادر بحوالي 9 مليون فرنك فرنسي، كما طالبوا أيضا بتطبيق مبدأ المسؤولية الجماعية على الجزائريين، كما اندلعت سنة 1881م حرائق أخرى ببلدية عزابة أدت إلى معاقبة حوالي 46 قبيلة بسببها رغم عدم توفر أي دليل لدى الشركات الاستغلالية وكذا لدى الإدارة الاستعمارية تثبت تورطهم في نشوب تلك الحرائق كما تم بسببها حجز ما يقارب 42 ألف هكتار من أراضي سكان هذه المنطقة³¹.

4. انعكاسات الاستغلال الاستعماري للغابات على سكان الأرياف:

تعتبر الأرض أهم حافز لجلب الاستيطان لمنطقة مستعمرة، وهذا ما أدركته السلطات الاستعمارية الفرنسية منذ أول يوم وطئت أقدامها أرض الجزائر، وقد استملت في سبيل ذلك كل الوسائل التعسفية لتجريد الجزائريين من أراضيهم، وملك تكتفي الإدارة الاستعمارية بسلب الجزائريين أراضيهم الخصبة فقد، بل طاردتهم على المناطق الجبلية والغابية، والتي فر إليها الكثير منهم هربا من السياسات التعسفية التي مورست ضدهم.

1.4. فرنسة وتفكيك وحدة المجتمع الجزائري

إن سياسة الإدارة الفرنسية تجاه الغابات الجزائرية أدت إلى انعكاسات خطيرة عرفها المجتمع الجزائري، كان أبرزها فرنسة الأراضي الجزائرية حيث تم سلب الجزائريين أراضيهم عن طريق إجبارهم على بيعها أو حجزها ومصادرتها منها مما أدى بهم إلى التحول من ملاك للأراضي للعمل على شكل خماسة وعمال أجراء لدى المعمرين وفي أراضي هي أصلاً ملكهم بحثاً عن قوت يومهم الذي سلب منهم بسبب مصادرة أراضيهم، هذا وقد أدت تلك القوانين التعسفية إلى تفتيت بنية القبيلة الجزائرية وتحويل القبيلة الكبيرة إلى مجموعة من الدواوير في إطار السياسة الاستعمارية "فرق تسد"³².

إن الاستيلاء على أراضي الجزائريين ثم مطاردتهم نحو المناطق الجبلية كان له تأثير كبير على وحدة المجتمع الجزائري، حيث أدى ذلك إلغاء كيان القبيلة كوحدة أساسية يقوم عليها النظام الاجتماعي بالجزائر فتفتت إلى دواوير بفعل تحديد أراضيها واخضاعها للبيع، ففقد بذلك الجزائريون في الريف الإطار الملائم الذي ينظم حياتهم ويحفظ لهم مصادر رزقهم وأصبح الفرد بعد أن لم تعد القبيلة تحميه وتقدم له العون أعزلاً في مواجهة إجراءات الإدارة الفرنسية الجائرة.

ومن الأمثلة عن ذلك تفكيك قبيلة عكرمة الغرابة إلى 16 فصيلة Fraction16، التي قسمت أراضيها بمقتضى المرسوم الامبراطوري الصادر في 16 جوان 1866 إلى دواوين يجمع كل منهما ثلاثة فصائل كما أن مساحة الأرض الجماعية التي كانت بحوزة هذه القبيلة والمقدرة بـ 12.556 هكتار وتضمن العيش لحوالي 2.385 ساكناً قسمت إلى ملكيات فردية على 948 شخصاً³³.

وبتفكيك القبيلة تكون فرنسا قد حطمت البنية الاجتماعية للشعب الجزائري وخربت وحدته وأيضاً حققت بعداً سياسياً عن طريق سدها للطريق في وجه الطبقة القديمة المسيطرة إلى سلطات الاحتلال وبعداً اجتماعياً إذ بزوال المصالح المشتركة (الأرض) التي كانت تجمع أفراد القبيلة زالت الروابط بين هذه الأخيرة وتفككت وأصرها³⁴.

2.4. انتشار الفقر وظهور طبقة العمال الأجراء

لقد كانت للسياسة الفرنسية اتجاه الغابات الجزائرية أثر بالغ في حياة سكان الأرياف، حيث انتشر الفقر في أوساط الجزائريين وذلك بدرجة أولى بسبب سلبهم أراضيهم الخصبة ومنعهم في الانتفاع بخيرات وثروات الغابات التي كانوا يقطنون بجوارها، فوجد الجزائريين أنفسهم أمام أوضاع معيشية مزرية مما اضطرهم إلى النزوح نحو المدن ليجدوا أنفسهم عرضة للاستغلال البشع من طرف الكولون كعمال أجراء مقابل ثمن بخس، وهذا حققت المستعمر هدفين الأول هو توسيع نفوذ المعمرين وتقوية سلطة الإدارة الاستعمارية في الجزائر والثاني بكسب يد عاملة بأقل الأثمان³⁵.

إن الإجراءات المتخذة من قبل الإدارة الاستعمارية في حق الغابات الجزائرية كان لها الأثر البالغ في الجزائريين، حيث عمدت فرنسا إلى إصدار مجموعة من القوانين في هذا المجال، وذلك سعياً منها إلى تطوير الجزائريين الذين كانوا يعتمدون عليها في الكثير من جوانب حياتهم، حيث عملت فرنسا على منعهم من

استغلال هذه الغابات وفي المقابل منحت العديد من الامتيازات للمعمرين في مجال استغلالها لصالحهم واستغلالها في صناعتهم خاصة مادة الفلين والتي كانت أحد أكثر التجارات الغابية نجاحا في ذلك العصر³⁶.

خاتمة

عمدت السلطات الاستعمارية بشتى الطرق إلى السيطرة على الجزائر منذ بداية الاحتلال سنة 1830، فبدأت محاولاتها بالسيطرة على الممتلكات الوقفية لتنتقل بعد ذلك إلى ممتلكات الجزائريين، سعيا منها إلى اخضاعهم تحت سيطرتها، ولم تسلم الغابات الجزائرية من أطماع فرنسا الاستعمارية، خاصة بعد معرفتها بأهميتها في حياة الفرد الجزائري، حيث كانت توفر لهم حوالي ثلثي حاجاتهم اليومية من خشب وفواكه وحطب وأعشاب طبية وكذلك كانت مرعى لمواشيهم في فترات الجفاف والصيف.

لقد كنت الغابات الجزائرية توفر للإدارة الاستعمارية أرباح بأضعاف ما توفره الغابات في فرنسا، خاصة مع التنوع الطبيعي الذي تشتهر به الجزائر، لذلك استعملت فرنسا كل الوسائل للاستيلاء على تلك الثروة الطبيعية الهائلة، حيث اعتبر العديد من المؤرخين أن الاستيلاء على هذه الثروة كان أحد أهم الأسباب التي أدت إلى اخضاع الجزائريين وتحويلهم من ملكية الأرض نحو البحث عن لمقمة العيش لدى المعمرين، فتوجب عليهم التحول من ملاك للأراضي إلى عمال كخماسة أو بأجور زهيدة لا تكاد تكفيهم لسد قوت يومهم.

الهوامش

- ¹ محمد الهادي لعروق، أطلس الجزائر والعالم، دار الهدى، (د.ب.ن.)، (د.س.ن.)، ص. 12.
- ² سيدي الجوهري، جغرافية المتوسط، منشأة المعارف للنشر، الإسكندرية، 1984، ص. 275.
- ³ حيث لم تكن هناك مدن ثابتة بسبب طبيعة السكان الذين كانوا يعيشون حياة الترحال ويطلق عليهم مصطلح البدو الرحل.
- ⁴ Xavier Bardon, Histoire Nationale d'Algérie , (s.d.), p. 22.
- ⁵ منطقة يتراكم فيها على شكل كثبان، نادراً ما تكون متراصة حيث تتخلله في الغالب أروقة تدعى قاسبي، ينظر: ريان جابر، الزراعة في إقليم وادي سوف الواقع والآليات، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الإخوة منتوري، قسنطينة، 2015، ص. 13.
- ⁶ وهي مدينة المنيعه حاليا التابعة لولاية غرداية، حيث تتفق المصادر الأجنبية على تسميتها بـ Golea القليعة بضم القاف وفتح اللام، وهنا يجدر الإشارة إلى ضرورة التفريق بينها وبين مدينة القليعة koleah التابعة لولاية البليدة.
- ⁷ Xavier Bardon, op-cit, p. 23.
- ⁸ محمد الهادي لعروق، المرجع السابق، ص. 12.
- ⁹ المعجم الوسيط.
- ¹⁰ أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، (د.ب.ن.)، (د.س.ن.)، ص. 161.
- ¹¹ Louis de Badicour, La Colonisation de l'Algérie ses éléments, Challamel aîné librairie, Paris, p. 52.
- ¹² تجدر الإشارة في هذه النقطة أن مساحة الغابات في الجزائر لم تكن ثابتة منذ بداية توسع الاحتلال الفرنسي في الجزائر إلى غاية الاستقلال، حيث نجد أنها ازدادت بتوسع الاحتلال الفرنسي في المناطق الداخلية، كما نلاحظ أيضا تناقصها في بعض الفترات وذلك راجع لعدة عوامل كان أهمها الحرائق التي نشبت في العديد من مناطق الجزائر خاصة في الفترة ما بين 1854 و 1885 وكذلك بزيادة الاستغلال الاستعماري لبعض الغابات.
- ¹³ Henri Lefebvre, Les Forêts de l'Algérie, GIRALT imprimeur, Alger, 1900, p. 1.
- ¹⁴ Schawaerslé, carte indicative de ressource forestière de l'Algérie, mars 1847.
- ¹⁵ Hafiza Tatar, Production forestière, exploitation et valorisation en Algérie, foret méditerranéenne, T. XXXIII, N° 4, décembre, 2012, P. 362.
- ¹⁶ Ministre de la Guerre, Tableau de la situation des établissements français dans l'Algérie 1846- 1847 – 1848- 1849, imprimerie nationale, Paris, 1851, P. 438.
- ¹⁷ GGA, Chênes liège, notices sur les forêts domaniales de l'Algérie, GIRALT, Alger, p. 2.
- ¹⁸ Ibid, P. 3.
- ¹⁹ GGA, Les forêts de cèdre, GIRALT, Alger, 1894. P. 4.
- ²⁰ تمت مقارنتها بمثيلتها في لبنان لأنها مشهورة بهذا النوع من الأشجار وأكبر دليل على ذلك هو اعتماد شجرة الأرز كرمز للدولة ويتضح ذلك جليا في العلم اللبناني.
- ²¹ H. marc, Notes sur les forêts de l'Algérie, librairie LAROSE, Paris, 1930, P. 8.
- ²² Charrier, l'Alfa des hauts plateaux de l'Algérie, 2eme ed, imprimerie typographique et lithographique BOUYER, Alger, 1873, p. 08.
- ²³ Charles R. AGERON, Les Algériens musulmans et la France (1871-1919). T02, 1968, P. 782.
- ²⁴ Ibid, p. 783.
- ²⁵ الجيلالي صاري، محفوظ قداش، الجزائر في التاريخ، المقاومة السياسية 1900-1954، تر: عبد القادر بن حراث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص 148.
- ²⁶ Jules cambon, Le Gouvernement General de l'Algérie 1891-1897, Paris, 1918, p. 47.
- ²⁷ Djilali sari, Le problème forestier dans l'Ouarsenis durant la période coloniale, majallat El-Tarikh, centre national d'études historiques, Alger, 1975, p. 70.
- ²⁸ G.G.A, statistique générale de l'Algérie , années 1882-1884, imprimerie de l'association ouvrière, Alger, p. 156.
- ²⁹ Georges Graviaus, les incendies des forets en Algérie, leurs causes vraies, challamel Edition, paris, 1866, p 34.
- ³⁰ جيلالي صاري، تجريد الفلاحين الجزائريين من أراضيهم 1830-1962، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2010 ص. 114.



³¹ بوضرساية بوعزة، سياسة فرنسا البربرية في الجزائر 1830-1930 وانعكاساتها على المغرب العربي، دار الحكمة، الجزائر، 2010، ص. 106.

³² بن داهة عدة، الاستيطان والصراع حول ملكية الأرض إبان الاحتلال الفرنسي 1830-

1962، ج2، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين، الجزائر، 2008، ص 28، 29.

³³ بن داهة عدة، المرجع السابق، ص. 13.

³⁴ بوضرساية بوعزة، المرجع السابق، ص. 106.

³⁵ بن داهة عدة، المرجع السابق، ص. 13، 18.

³⁶ بوضرساية بوعزة، المرجع السابق، ص. 118.